

مفاهيم القرآن

(53) مُوسَىٰ وَ هَارُونََ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ((يونس: 75). (فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) (يونس: 83). (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَ أَخَاهُ هَارُونََ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) (المؤمنون: 45-46). (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِّنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ) (الدخان: 30-31). ومن البديهي لمن يعتبر نفسه أعلى من الآخرين؛ أن يطغى على الله تعالى ويعصيه ويفسد في الأرض، وكذلك كان فرعون المستبد كما يصفه القرآن إذ يقول: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْيَمَّانَ فَأَتَوْا أَبْنَاءَهُمْ فِرْعَوْنَ وَ جُنُودُهُ بِغِيَاً وَعَدُّوهُ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَالَئِكَ، وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (يونس: 90-91). ترى وأيُّ فساد أعظم وأيُّ استكبار أكبر من أن يستعبد الناس، ويسلبهم حرياتهم ويتخذ عباد الله خولاً. فها هو القرآن؛ ينقل عن فرعون قوله مخاطباً قومه وهو يشير إلى قوم موسى وهارون: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَ أَخَاهُ هَارُونََ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)؟ (المؤمنون: 45-47). كما أن القرآن الكريم ينقل اعتراض النبي موسى عليه السلام على فرعون، استعباده للناس إذ يقول له بعد أن ذكر تربيته وحضانه وعنايته بموسى في طفولته بقوله: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَ لَيْدًا وَ لَبِثْتَ فِينَا مِّنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) ؟ (الشعراء: 18). (وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَيِّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الشعراء: 22). وما أوقع فرعون وأشد كفره واستكباره إذ يقول: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)!!! (الشعراء: 23).